الإشراق

للأستاذ منصور رجب
الاستاذ بكلية أصول الدين

هل يمكن الجمع بين الضدين ؟ .. الجمع بين الضدين محال . لايمكن أن يجتمع نور وظلمة .. على معنى أن يكون الشيء نيرا ومظلما فى وقت معا .. ولا يمكن أن يكون حركة وسكون .. على معنى أن يكون الشيء متحركا وساكنا فى وقت واحد .. كذلك اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التى تستولى عليه من ركونه الى المعاصى واعتماده على غير الذى خلقه فسواه .. المسير الى الله سبحانه وتعالى بمعرفة النفس وتصفيتها من شوائب الاكدار والاغبار مضاد لحبها وعقلها فى معتقل الاهواء والشهوات .. وهذان ضدان والضدان لا يجتمعان .. طهارة النفس ونزاهتها من الداخل مضاد لشوبها بأدران المادة وعدم الاخلاص لله . وهذان ضدان والضدان لا يجتمعان .. وهكذا قل ما تشاء فى الأضداد وعدم اجتماع الاضداد .. الضرر الذى يلحق المريد فى أن يسمح لنفسه فى أن يقع الاثم .

المريد لا يستطيع أن يسير الى الله سبحانه وتعالى ما استطاع .. يحارب ماذا ؟ .. يحارب .. « الغفلة » ليس شيء آخر على الانسان من الغفلة .. يقول الله تبارك وتعالى « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » .

هكذا حكم القرآن الكريم على الغافلين .. انهم أضل من الانعام .. الغافلون وصفهم القرآن الكريم بأوفى وصف وهو واضح ظاهر لا يحتاج الى شرح .. ولقد مر النبى صلى الله عليه وسلم على قتيل فى الطريق فسأل عنه .. ما شأنه ؟ .. فقالوا له : يا رسول الله هذا الرجل سطا على غنم بنى زهرة فوثب عليه كلب الماشية فقتله .. فقال صلى الله عليه وسلم : قتل نفسه .. وأضاع ديته .. وكان الكلب خيرا منه .. وهذا حكم ظاهر بين .

فأول صفات المريد « أن يعثر على نفسه » أما الذى لا يعثر عليها فذلك هو الغافل . الذى يعثر على نفسه يشرق قلبه بنور الله .. فيؤمن به .. ويطيعه فيما أمر ونهى .. « **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** »

قالوا : ان الاشراق لا يتم للمرء أو لا يوجد للمريد الا بأركان أربعة : **الخلوة** » « **الصمت** » « **الجوع** » « **السهر** » حتى قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه : اجتمع الخير كله فى هذه الاربع خصال ·· وجمعها بعض الشعراء فى نظمه فقال :

يا من يروم منازل الأبدال — من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن فيها فلست من أهلها — ان لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه — سادتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم — والجوع والسهر النزيه العالى

وليس معنى هذه الأركان أن تعتزل الناس فلا تقضى عملا أو أن تصمت فلا تكلم أحدا ·· أو أن تجوع حتى تضر بصحتك ·· أو أن تسهر كذلك ·· انما المراد أن تجعل من وقتك ساعة تخلو فيها الى نفسك تحاسبها على ما قدمت وترسم لها ما ينبغى أن يعمل ·· وأن تصمت الا فيما يعنيك فان كلامك من عملك ·· وألا تطحن عمرك تحت أنيابك وألا تجعل النوم لك صناعة ·· بل تقوم الليل تناجى فيه ربك ·

من هنا شرع الاسلام الصوم ففيه الجوع · وفيه الصمت عن الكذب والاثم والفحش ·· وشرع الاعتكاف للخلوة ·· فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى العشر الاواخر من رمضان حتى لحق بربه سبحانه ·· ففى هذا الشهر « **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** » ·· هذا الشهر شهر الاشراق ·· شهر التطهر ·· شهر التأمل ·· شهر العثور على النفس ·· والعثور على النفس ·· أول درجات الوصول ·· أو مفتاح معرفة الله والله هو الحق المبين ·· الاشراق : تجلى نور الحق على العارفين ·· وبالاشراق تلهم النفس المعارف ·· وفى ذلك الاشارة الى قول الله تبارك وتعالى « **واتقوا الله ويعلمكم الله** » ويروى فى بعض الاخبار : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ·

الاشراق بصر الايمان واليقين ·· والاشراق مرتبة لا يصل اليها الا من خدم الاخوان ·· وخدم الله ·· وراقب قلبه ·· فتخلق فى اخلاص بخلق الصوفية ·· وما خلق الصوفية الا « الايثار » حتى سمى محيى الدين ابن العربى ذلك الذى يتخلق بهذا الخلق سماه « فتوه » فالفتوة فى نظر الصوفية ·· ليس هو ذلك الشاب الشجاع القوى وانما هو ذلك الانسان الذى يؤثر غيره على نفسه ·· وهذه درجة عليا وصف الله سبحانه بها الاخيار من عباده ، فقال « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** »

ويقول محيى الدين بن العربى فى هذا المعنى :

ان الفتى من له الايثـــار تحلية :: فحيث كان فمحمول على الرأس

الرعونة مانعة من الاشراق ٠٠ وما الرعونة الا ضرب من الحماقة ٠٠ والحماقة تتجلى فى أن تؤثر الدنيا على الآخرة ٠٠ وليس هذا من شأن العقلاء ٠٠ وهو خلاف ما طلب الله منا حيث قال تبـــارك وتعالى « **بل يؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** » وتتجلى الرعونة أو الحمـــاقة أيضا فى أن تسوف بالعمل ٠٠ فقد يضيع منك العمل ٠ فانتهز الفرصة ولا تؤجل عمل اليوم الى غد ٠

والخلاصة التى أحب ان اخلص اليها من هذا أن مرتبـــة « الاشراق » هدف الصوفى ٠٠ وهذه المرتبة لا تصل اليها على طائرة فى غمضة عين ولا تصل اليها بالأمانى ٠٠ وانما هى مرتبة تحتـــاج الى « خلـــوة » ، و « صمت » و « جوع » و « ســـهر » ولا تنسى أنه ليس معنى ذلك أن تنقطع عن عمل الدنيا ٠٠ بل اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمـــل لآخرتك كأنك تموت غدا ٠٠ والدنيا أيها الصوفى « لوكاندة » تستقبل كل يوم اناسا ٠٠ وتودع كل يوم آخرين ٠٠ فاترك لنفســـك فيها الذكر الحسن ٠٠ وأد ما عليك من حساب قبل أن تغادرها ٠٠ وكـما قلت فى كلمتى السابقة : رجال الطرق الصوفية منتشرون فى طول البلاد وعرضها فهم كالشرايين فى جسم الامة ٠٠ فعليك بخدمة الاخوان ٠٠ وخدمة الله وراقب نفسك ٠٠ تفز بالحسنيين ٠٠ نور الله قلبى وقلبك والسلام على من اتبع الهدى ٠

منصور رجب

حفل صوفى
ببنى هلال بحيرة

أقام الشيخ عبد الجليل الزينى وكيل المشيخة العـامة عن مركز شبراخيت حفلا صوفيا فى اليوم الثالث من أيام العيد بكفر بنى هلال ، شهده وجهاء البحيرة وصفوة رجالهـا ، وفى طليعتهم السادة عبد الجواد خلاف ، وعبد النبى خلاف،ومحمد عبد الله البسطويسى ، وعبد الحميد ســـلام ، ومحمد محمود نعيم ، وأحمد محمود نعيم ٠

وقد تحدث فى الحفل عن التصوف ورسالته الاستاذ طه عبد الباقى سرور